ســورة البروج

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١﴾

قسم أقسم الله به جل وعز وفي﴿الْبُرُوجِ﴾ أقوال أربعة: أحدها: ذات النجوم؛ قاله الحسن وقتادة ومجاهد والضحاك (١). الثاني: القصور، قاله ابن عـباس وعكرمة ومجاهد أيضا (٢)، قال عكرمة: هي قصور في السماء (٣)، مجاهد: البروج فيها الحرس (٤). الثالث: ذات الخلق الحسن؛ قاله المنهال بن عمرو، الرابع: ذات المنازل؛ قـاله أبو عبيدة ويحيى بن سلام، وهي اثنا عـشر برجا، وهي منازل الكواكب والشمس والقـمر، يسير القمـر في كل برج منها يومين وثلث يوم؛ فذلك ثمانيـة وعشرون يومـا، ثم يستـسر ليلتين؛ وتـسيـر الشمس في كل برج منهـا شهـرا (٥)، وهي: الحمـل، والثور، والجـوزاء، والسـرطان، والأسد، والسـنبلة، والميـزان، والعقـرب، والقـوس ،والجـدي، والدلـو، والحوت، والبروج في كلام العرب: القصور؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقد تقدم.

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣﴾

قوله تـعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ أي: الموعود به، وهو قـسم آخر، وهو يوم القـيامة؛ من غـير اختلاف بين أهل التأويل.

قال ابن عباس: وعد أهل السماء وأهل الأرض أن يجتمعوا فيه (٦)، ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ اختلف فيهما؛ فـقال علي وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهم: الشاهد يوم الجـمعة، والمشهود يوم عرفة، وهو قول الحسن، ورواه أبو هريرة مـرفوعا قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيـامة،واليوم المشـهود يوم عرفـة،والشاهد يوم الجـمـعة . . .» (٧) خرجـه أبو عيسى التـرمذي في جامعـه، وقال: هذا حديث حـسن غريب، لا نعرفه إلا من حـديث موسى بن عبيـدة، وموسى بن

---

(١) صحيح إلى قتادة: الطبري (٣٠/ ١٣٥) في تفسيره ،والدر المنثور (٦/ ٥٥٢) للسيوطي ، وعـزاه لعبد الرزّاق وعبد بن حميد .

(٢، ٣)انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٨٣) والسند إلى ابن عباس ضعيف جدًا لكونه من طريق العوفيين .

(٤)صحيح إلى مجاهد وانظر : الطبري (٣٠/ ١٣٥) في تفسيره.

(٥، ٦)انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٨٣) ، واختاره ابن جرير .

(٧) حسن غريب : الترمذي (٣٣٣٩) في التـفسير ، وفيه موسى بن عبيدة الرَّبذي وهو ضـعيف ، وصححه الألباني بطرقه وشواهده.

عبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره وقد روى شعبة وسفيان الثوري وغير واحد من الأئمة عنه، قال القشيري: فيوم الجمعة يشهد على كل عامل بما عمل فيه.

قلت: وكذلك سائر الأيام والليالي؛ فكل يوم شاهد، وكذا كل ليلة؛ ودليله ما رواه أبو نعيم الحافظ عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: « ليس من يوم يأتي على العبد إلا ينادي فيه: يابن آدم، أنا خلق جديد، وأنا فيما تعمل عليك [غداً] شهيد، فاعمل فيَّ خيرا أشهد لك به غدا، فإني لو قد مضيت لم ترني أبدا، ويقول الليل مثل ذلك »، حديث غريب من حديث معاوية، تفرد به عنه زيد العمي، ولا أعلمه مرفوعا، عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد [1]، وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير أن الشاهد يوم الأضحى، وقال سعيد بن المسيب: الشاهد: يوم التروية، والمشهود: يوم عرفة، وروى إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه: الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم النحر، وقاله النخعي، وعن عليّ أيضا: المشهود يوم عرفة [2]، وقال ابن عباس والحسين بن علي رضي الله عنهما: المشهود يوم القيامة [3]؛ لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

قلت: وعلى هذا اختلفت أقوال العلماء في الشاهد، فقيل: الله تعالى؛ عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير [4] بيانه: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩] وقيل: محمد ﷺ عن ابن عباس أيضا والحسين بن علي [5]؛ وقرأ ابن عباس: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] وقرأ الحسين: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

قلت: وأقرأ أنا: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقيل: الأنبياء يشهدون على أممهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] وقيل: آدم، وقيل: عيسى ابن مريم؛ لقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] والمشهود: أمته، وعن ابن عباس أيضا ومحمد ابن كعب: الشاهد الإنسان [6]؛ دليله: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] مقاتل: أعضاؤه؛ بيانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] الحسين ابن الفضل: الشاهد هذه الأمة، والمشهود سائر الأمم؛ بيانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقيل: الشاهد: الحفظة، والمشهود: بنو آدم، وقيل: الليالي والأيام، وقد بيناه.

قلت: وقد يشهد المال على صاحبه، والأرض بما عمل عليها؛ ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ « إن هذا المال خضر حلو، ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين

---

(١) ضعيف: الحلية (٢/ ٣٠٣) لأبي نُعيم ـ رحمه الله ، وقال أبو نعيم: « غريب »، وانظر: تعليق المصنف عليه فهو من كلام أبي نعيم ـ رحمه الله .

(٢ـ ٥) كله عند ابن كثير (٨/ ٢٨٣، ٢٨٤) في تفسيره ، وانظر: السيوطي (٦/ ٥٥٢) في تفسيره .

(٦) ضعيف إلى ابن عباس: ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٨٥) في تفسيره .

واليتيـم وابن السبيل » أو كما قـال رسول الله ﷺ «وإنه من يأخذه بغير حقه كـان كالذي يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة »(١) ، وفي الترمذي عن أبي هريرة قـال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[الزلزلة: ٤] قال: « أتدرون مـا أخبارها » ؟ قـالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا وكـذا، قال: فهذه أخبارها » ، قال حديث حسن غريب صحيح(٢) ، وقيل: الشاهد الخلق، شهدوا لله عز وجل بالوحدانية، والمشهود له بالتوحيد هو الله تعالى، وقيل: المشهـود يوم الجمعة؛ كمـا روى أبو الدرداء قال: قـال رسول الله ﷺ: « أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعـة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة » وذكر الحديث، خرجه ابن ماجه وغيره(٣) .

قلت: فعلى هذا يوم عرفة مشهود، لأن الملائكة تشهده، وتنزل فيه بالرحمة، وكذا يوم النحر إن شاء الله، وقـال أبو بكر العطار: الشاهد الحـجر الأسود؛ يشـهد لمن لمسه بصـدق وإخلاص ويقين، والمشهود الحاج، وقيل: الشاهد الأنبياء، والمشهود محمد ﷺ ؛ بيانه﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾[آل عمران: ٨١] إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران: ٨١] .

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ أي: لعـن، قال ابن عـباس: كل شيء في القرآن ﴿قُتِلَ﴾ فهو لعن(٤) ، وهذا جواب القسم في قول الفراء - واللام فيـه مضمرة؛ كقوله: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾[الشمس: ١] ثم قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[الشمس: ٩] : أي: لقد أفلح، وقـيل: فيه تقديم وتأخـير؛ أي: قتل أصحـاب الأخدود والسماء ذات البروج؛ قـاله أبو حاتم السجسـتاني، ابن الأنباري: وهذا غلط لأنه لا يجوز لقائل أن يقول: والله قام زيد على معنى قام زيد والله، وقال قوم: جواب القسم: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾وهذا قبيح؛ لأن الكلام قد طال بينهما، وقيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا﴾ ،وقيل: جواب القسم محذوف، أي: والسماء ذات البـروج لتبعـثن، وهذا اختيار ابن الأنبـاري، والأخدود: الشق العظيم المستطيل في الأرض كالخندق، وجمعه أخاديد، ومنه الخد لمجاري الدموع، والمخدة؛ لأن الخد يوضع عليها، ويقال: تخدد وجه الرجل: إذا صارت فيه أخاديد من جراح، قال طرفة:

وجهٌ كأنَّ الشَّمسَ حلتْ رداءها عليه نقيُّ اللونِ لم يَتخدد

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ ﴿النَّارِ﴾بدل من ﴿الْأُخْدُودِ﴾ بدل الاشتـمال، و﴿الْوَقُودِ﴾ بفتـح الواو قراءة

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٤٦٥) في الزكاة، ومسلم (١٠٥٢) في الزكاة .

(٢) حسن غريب صحيح: الترمذي (٣٣٥٣) في التفسير ،وضعفه الألباني .

(٣) ضعيف: ابن ماجه (١٦٣٧) في الجنائز ، وفيه زيد بن أيمن عن عبادة بن نُسَيّ وروايته عنه مرسله . وانظر: صحيح الجامع (١٢٠٩) .

(٤) سبق أكثر من مرة .

العامة وهو الحطب، وقرأ قتادة وأبو رجاء ونصر بن عاصم بضم الواو على المصدر؛ أي: ذات الاتقاد والالتهاب، وقيل: ذات الوقود بأبدان الناس، وقرأ أشهب العقيلي وأبو السمال العدوي وابن السميقع: « النارُ ذاتُ » بالرفع فيهما؛ أي: أحرقتهم النار ذات الوقود .

قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ أي: الذين خددوا الأخاديد وقعدوا عليها يلقون فيها المؤمنين، وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، وقد اختلفت الرواية في حديثهم، والمعنى متقارب، ففي «صحيح» مسلم عن صهيب: أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر؛ فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلى غلاما أعلمه السحر؛ فبعث إليه غلاما يعلمه؛ فكان في طريقه إذا سلك، راهب، فقعد إليه وسمع كلامه، فاعجبه؛ فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه؛ فإذا أتى الساحر ضربه؛ فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضى الناس؛ فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني؟ أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى؛ فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله؛ فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك؟ فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس؛ فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟! قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام؛ فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني! أقد بلغ من سحرك ما تبرئ (١) الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل؟ ! قال: أنا لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب؛ فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك؛ فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه؛ فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفينهم بما شئت؛ فرجف بهم الجبل، فسقطوا، وجيء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور (٢)، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه؛ فذهبوا به فقال: اللهم اكفينهم بما شئت؛ فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟

(١) تبرئ : تشفى اللسان« بري».
(٢) قرقور : قال النووي في رياض الصالحين (١/ ١١٦) شرح ابن عثيمين :«قرقور بضم القافين: نوع من السُّفن»، وفي شرح مسلم، قال: السفينة الصغيرة .

قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني؛ فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام؛ ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم، فمات؛ فقال الناس: آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس؛ فأمر بالأخدود في أفواه السكك (١)، فخدت، وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها - أو قيل له اقتحم ـ ففعلوا؛ حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال، لها الغلام: « يا أمة اصبري فإنك على الحق»، أخرجه الترمذي بمعناه (٢).

وفيه: « وكان على طريق الغلام راهب في صومعة » قال معمر: أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين، وفيه: « أن الدابة التي حبست الناس كانت أسدا، وأن الغلام دفن» قال: فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب ،وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ، وقال: حديث حسن غريب » (٣)، ورواه الضحاك عن ابن عباس قال: كان ملك بنجران، وفي رعيته رجل له بنى، فبعثه إلى ساحر يعلمه السحر، وكان طريق الفتى على راهب يقرأ الإنجيل؛ فكان يعجبه ما يسمعه من الراهب، فدخل في دين الراهب؛ فأقبل يوما فإذا حية عظيمة قطعت على الناس طريقهم، فأخذ حجرا فقال: باسم الله رب السموات والأرض وما بينهما؛ فقتلها، وذكر نحو ما تقدم، وأن الملك لما رماه بالسهم وقتله قال أهل مملكة الملك: لا إله إلا إله عبد الله بن ثامر، وكان اسم الغلام، فغضب الملك، وأمر فخدت أخاديد، وجمع فيها حطب ونار، وعرض أهل مملكته عليها، فمن رجع عن التوحيد تركه، ومن ثبت على دينه قذفه في النار، وجيء بامرأة مرضع فقيل لها ارجعي عن دينك وإلا قذفناك وولدك . قال: فأشفقت وهمت بالرجوع، فقال لها الصبي المرضع: يا أمي، اثبتي على ما أنت عليه، فإنما هي غميضة؛ فألقوها وابنها (٤)، وروى أبو صالح عن ابن عباس أن النار ارتفعت من الأخدود ، فصارت فوق الملك وأصحابه أربعين ذراعا فأحرقتهم (٥)، وقال الضحاك: هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة، أخذهم يوسف بن شراحيل ابن تبع الحميري، وكانوا نيفا وثمانين رجلا، وحفر لهم أخدودا وأحرقهم فيه (٦)، حكاه الماوردي، وحكى

---

(١) في أفواه السكك : « في أبوابها » شرح النووي على مسلم (٩/ ٣١٩) .

(٢) صحيح :مسلم (٣٠٠٥/ ٧٣) في التفسير، الترمذي (٣٣٤٠) في التفسير ، أحمد (٦/ ١١٦) في المسند

(٣) انظر: الترمذي (٣٣٤٠) في التفسير .

(٤) منقطع :بين الضحاك وابن عباس ـ رضي الله عنهما .

(٥) واه الإسناد :أبو صالح كذاب يكذب في كل ما رواه عنه على ابن عباس انظر الآتي .

(٦) مرسل :الطبري (٣٠/ ١٤٢) في تفسيره ..

الثعلبي عنه : أن أصحاب الأخدود من بني إسرائيل، أخذوا رجالا ونساءً، فخدوا لهم الأخاديد، ثم أوقدوا فيها النار، ثم أقيم المؤمنون عليها، وقيل لهم: تكفرون أو تقذفون في النار؟ ويزعمون أنه دانيال وأصحابه؛ وقاله عطية العوفي، وروي نحو هذا عن ابن عباس ، وقال علي رضي الله عنه: إن ملكا سكر فوقع على أخته، فأراد أن يجعل ذلك شرعا في رعيته فلم يقبلوا؛ فأشارت إليه أن يخطب بأن الله - عز وجل - أحل نكاح الأخوات، فلم يسمع منه، فأشارت إليه أن يخد لهم الأخدود، ويلقي فيه كل من عصاه، ففعل، قال: وبقاياهم ينكحون الأخوات وهم المجوس، وكانوا أهل كتاب (١).

وروي عن علي أيضا : أن أصحاب الأخدود كان سببهم أن نبيا بعثه الله تعالى إلى الحبشة، فاتبعه ناس، فخد لهم قومهم أخدودا، فمن اتبع النبي رمي فيها، فجيء بامرأة لها بني رضيع فجزعت، فقال لها: يا أماه، امضى ولا تجزعي (٢)، وقال أيوب عن عكرمة قال: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ قال: كانوا من قومك من السجستان، وقال الكلبي: هم نصارى نجران، أخذوا بها قوما مؤمنين، فخدوا لهم سبعة أخاديد، طول كل أخدود أربعون ذراعا، وعرضه اثنا عشر ذراعا، ثم طرح فيه النفط والحطب، ثم عرضوهم عليها؛ فمن أبى قذفوه فيها، وقيل: قوم من النصارى كانوا بالقسطنطينية زمان قسطنطين، وقال مقاتل: أصحاب الأخدود ثلاثة : واحد بنجران، والآخر بالشام، والآخر بفارس، أما الذي بالشام فأنطنيانوس الرومي، وأما الذي بفارس فبختنصر، والذي بأرض العرب يوسف بن ذي نواس، فلم ينزل الله في الذي بفارس والشام قرآنا، وأنزل قرآنا في الذي كان بنجران، وذلك أن رجلين مسلمين كان أحدهما بتهامة، والآخر بنجران، آجر أحدهما نفسه، فجعل يعمل ويقرأ الإنجيل؛ فرأت ابنة المستأجر النور في قراءة الإنجيل، فأخبرت أباها فأسلم، وبلغوا سبعة وثمانين بين رجل وامرأة، بعد ما رفع عيسى، فخد لهم يوسف بن ذي نواس بن تبع الحميري أخدودا، وأوقد فيه النار؛ وعرضهم على الكفر، فمن أبي أن يكفر قذفه في النار.

وقال: من رجع عن دين عيسى لم يقذف، وإن امرأة معها ولدها صغير لم يتكلم، فرجعت، فقال لها ابنها: يا أماه، إني أرى أمامك نارا لا تطفأ، فقذفا جميعا أنفسهما في النار، فجعلها الله وابنها في الجنة، فقذف في يوم واحد سبعة وسبعون إنسانا.

وقال ابن إسحاق عن وهب بن منبه: كان رجل من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام، يقال له :قيميون، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة، وكان سائحا في القرى، لا يعرف بقرية إلا مضى عنها، وكان بناء يعمل الطين .

قال محمد بن كعب القرظي: وكان أهل نجران أهل شرك يعبدون الأصنام، وكان في قرية من قراها قريبا من نجران ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر؛ فلما نزل بها قيميون، بنى بها خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعل أهل نجران يبعثون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم

(١) ضعيف: السيوطي (٦/ ٥٥٤) في الدر المنثور وعزاه لعبد بن حميد .
(٢) في إسناده نظر : رواه السيوطي في الدر (٦/ ٥٥٤) وعزاه لابن مردويه .

السحـر، فبعث إليه الـثامر عبـد الله بن الثامر، فكان مع غلمـان أهل نجران، فكان عبـد الله إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من أمر صـلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه، حتى أسلم، فوحد الله وعبده، وجعل يسأله عـن اسم الله الأعظم، وكان الراهب يعلمه، فكتمه إياه وقال: يا بن أخي، إنك لن تحمله، أخشى ضـعفك عنه؛ وكان أبوه الثامر لا يظن إلا أن ابنه يختـلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبـد الله أن الراهب قد بخل عليه بتعليم اسم الله الأعظم، عمد إلى قداح فجمعها، ثم لم يبق لله تعالى اسما يعلمه إلا كتبه في قدح، لكل اسم قدح؛ حتى إذا أحصاها أوقد لها نارا، ثـم جعل يقذفها فـيها قدحـا قدحا، حتى إذا مـر بالاسم الأعظم قذف فيهـا بقدحه، فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء، فأخذه ثم قام إلى صاحبه. فأخبره أنه قد علم اسم الله الأعظم الذي كتمه إياه، فقال: وما هو؟ قال: كذا وكذا، قال: وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع، فقال له: يا بن أخي، قد أصبته، فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل.

فجعل عبـد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر إلا قـال: يا عبد الله، أتوحد الله وتدخل في ديني، فأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيـه من البلاء؟ فيقول: نعم؛ فيوحد الله ويسلم، فيدعو الله له فيشفي، حتى لم يبق أحد بنجران به ضر إلا أتاه فاتبعه على دينه ودعا له فعوفي؛ حتى رفع شأنه إلى ملكهم، فدعاه فقال له: أفسدت علي أهل قريتي، وخالفت ديني ودين آبائي، فلأمثلن بك، قال: لا تقـدر على ذلك؛ فجـعل يرسل به إلى الجبل الطويل، فـيطرح عن رأسه، فـيقع على الأرض ليس به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه نجران، بحار لا يلقى فيها شيء إلا هلك، فيلقي فيها فيخرج ليس به بأس؛ فلمـا غلبه قال له عبد الله بن الثامر: والله لا تقـدر على قتلي حتى توحد الله وتؤمن بما آمنت به؛ فإنك إن فعلت ذلك سلطت علي وقتلتني، فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادته، ثم ضربه بعصا فـشجه شجة صغيـرة ليست بكبيرة، فقتله، وهلك الملك مـكانه، واجتمع أهل نجران على دين عـبد الله بن الـثامر، وكـان على ما جاء به عـيسى ابن مـريم من الإنجيـل وحكمـه، ثم أصابهـم ما أصاب أهل ديـنهم من الأحداث؛ فمن ذلك كان أصل النصرانية بنجـران، فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير، فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك أو القتل، فاختاروا القتل، فخد لهم الأخدود، فحرق بالنار وقتل بالسيف، ومـثل بهم حتى قَتَلَ منهم عشرين ألفا، وقال وهب بن منبه: اثني عشر ألفا [1]، وقال الكلبي: كان أصحاب الأخدود سبعين ألفا، قال وهب: ثم لما غلب أرياط على اليمن خرج ذو نواس هاربا، فاقتحم الـبحر بفرسه فغرق [2]، قال ابن إسحاق[3]: وذو نواس هذا اسمه زرعـة بن تبان أسعد الحمـيري، وكان أيضا يسمـى يوسف، وكان له غدائر من شعر تنوس، أي: تضطرب، فسمي ذا نواس، وكان فـعل هذا بأهل نجران، فأفلت منهم رجل اسمه دوس ذو ثعلبان، فسـاق الحبشة لينتصـر بهم، فملكوا اليمن وهلك ذو نواس في البحـر، ألقي نفسه

---

(١) كذا عند ابن كثير (٨/ ٢٨٨) بنحوه.

(٢، ٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٢) وما بعدها.

فيه، وفيه يقول عمرو بن معدي كرب:

أَتُوعدني كأنـكَ ذو رُعـين   بأنعم عِيشـة أو ذو نُـواسِ
وكائن كان قبلك من نَعيـم   وملك ثابت في النـاسِ راسِ
قَديم عهـده من عهد عـادٍ   عظيم قاهِرِ الجَبـروتِ قـاسِ
أزال الدَّهْرُ مُلْكَهُم فأضحى   ينقل من أناسٍ فـي أنـاسِ

وذو رعين: ملك من ملوك حمير، ورعين: حصن له وهو من ولد الحـارث بن عمرو بن حمير ابن سبأ.

مسألة: قال علماؤنا: أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمـة في هذه الآية، ما كان يلقاه من وحد قبلهم من الشـدائد، يؤنسهم بذلك، وذكر لهم النبي ﷺ قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام، والمشقات التي كانوا عليها، ليتأسوا بمثل هذا الغلام، في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته، ودخـول الناس في الدين مع صغر سنه وعظيم صبره، وكذلك الراهب صبـر على التمسك بالحق حتى نشـر بالمنشار، وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان في قلوبهم، صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا في دينهم، ابن العربي[(١)]: وهذا منسوخ عندنا، حسب ما تقدم بيانه في سورة «النحل» [(٢)].

قلت: ليس بمنسوخ عندنا، وأن الصبـر على ذلك لمن قويت نفسـه وصلب دينه أولى، قال الله تعالى مخبرا عن لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: « إن من أعظم الجهـاد كلمة عدل عند سلطان جائر »: أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب [(٣)]، وروى ابن سنجر « محمد بن سنجر » عن أميمـة مولاة النبي ﷺ قالت: كنت أوضئ النبي ﷺ، فأتاه رجل، فـقال: أوصني. فقال: « لا تشـرك بالله شيئا وإن قطعت أو حـرقت بالنار » الحديث[(٤)] قال علماؤنا: ولقـد امتحن كثيـر من أصحاب النبي ﷺ بالقتل والصلب والتعـذيب الشديد، فصبروا ولم يلتـفتوا إلى شيء من ذلك ويكفيك قصة عاصم وخبيب وأصحابـهما وما لقوا من الحروب والمحن والقتل والأسر والحرق، وغير ذلك، وقد مضى في النحل أن هذا إجماع ممن قوي في ذلك، فتأمله هناك.

قوله تـعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ دعاء على هـؤلاء الكفار بالإبعـاد من رحمة الله تـعالى: وقيل: معناه الإخـبار عن قتل أولئك المؤمنين، أي: إنهم قـتلوا بالنار فصبروا ، وقـيل: هو إخبار عن

---

(١) أحكام القرآن (٤/ ١٩٦) لابن العربي المالكي.
(٢) عند الآية (١٠٦).
(٣) صحيح: الترمذي (٢١٧٤) في الفتن، وصححه الألباني.
(٤) حسن: الهيثمي (٤/ ٢١٧) في المجمع وعزاه للطبراني، وفيه يزيد بن سنان الرهاوي، وثقه البـخاري وغيره والأكثر على تضعيفه، وبقية رجاله ثقات.
قلت: وله شاهد حسن عند ابن ماجه (٤٠٣٤) في الفتن من حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه.
وانظر: المشكاة (٥٨٠) للألباني ـ رحمه الله.

obeikandl.com

أولئك الظالمين، فـإنه روي أن الله قـبض أرواح الذين ألقـوا في الأخـدود قبـل أن يصلوا إلى النار، وخرجت نار من الأخـدود فأحرقت الذين هم عليهـا قعود. وقيل: إن المؤمنين نجـوا، وأحرقت النار الذين قعدوا، ذكـره النحاس، ومعنى ﴿عَلَيْهَا﴾ أي: عندها وعلى بمعنى عند، وقيل: ﴿عليْهَا﴾ على ما يدنو منها من حافات الأخدود، كما قال:

وبات على النَّارِ النَّدَى والمحلَّقُ(١)

والعامل في ﴿ إذْ﴾ ﴿قُتِلَ﴾، أي: لعنوا في ذلك الوقت. ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ أي: حضور: يعني الكفار، كانوا يعرضون الكفر على المؤمنين، فمن أبي ألقوه في النار، وفي ذلك وصفهم بالقسوة ثم بالجد في ذلك: وقيل: ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى مع، أي: وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود.

﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ وقرأ أبو حيوة: « نَقِموا » بالكسر، والفصيح هو الفتح، وقد مضى في التوبة القول فيه (٢)، أي: ما نقم الملك وأصحـابه من الذين حرقهم، ﴿ إلاَّ أَن يُؤْمِنُوا﴾ أي: إلا أن يصـدقوا، ﴿بِاللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ أي: الغالب المنيع، ﴿الْحَمِيـدِ﴾ أي: المحمـود في كل حال، ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لا شريـك له فيهما ولا نديـد ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: عالـم بأعـمال خلـقه لا تخفي عليه خافية.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: حرقوهم بالنار، والعـرب تقول: فتن فلان الدرهم والدينار: إذا أدخله النار لـينظر جودته، ودينار مـفتـون، ويسـمى الصائغ: الفـتان، وكـذلك الشيطان، وورق فتين، أي: فضة مـحترقة، ويقال للحرة فتين، أي: كأنهـا أحرقت حجارتها بالنار، وذلك لسوادها، ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أي: من قبيح صنيعهم مع ما أظهره الله لهذا الملك الجبار الظالم وقومه من الآيات والبينـات على يد الغلام، ﴿فَلَهُمْ عَـذَابُ جَـهَنَّمَ﴾ لكفرهم، ﴿وَلَهُم عَـذَابُ الْحَرِيقِ﴾ في الدنيا لإحراقهم المؤمنين بالنار، وقد تقدم عن ابن عباس، وقيل: ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ أي: ولهم في الآخرة عذاب زائد عـلى عذاب كفـرهم بما أحرقـوا المؤمنين، وقـيل: لهم عذاب الجـحيم، وعـذاب الحريق والحريق: اسم مـن أسماء جـهنم؛ كالسـعير، والنار دركـات وأنواع ولها أسـماء، وكأنهـم يعذبون بالزمهرير في جهنم، ثم يعذبون بعذاب الحريق، فالأول عذاب ببردها، والثاني عذاب بحرها.

(١) عجز بيت لأعشى قيس، وصدره: تشب لمقرورين يصطليانها

(٢) انظر: الآية (٧٤) من سورة « التوبة».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: هؤلاء الذين كانوا آمنوا بالله؛ أي: صدقوا به وبرسله، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ أي: بساتين، ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ من ماء غير آسن، ومن لبن لم يتغير طعمه، ومن خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ أي: العظيم، الذي لا فوز يشبهه.

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أي: أخذه الجبابرة والظلمة، كقوله جل ثناؤه: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[هود: ١٠٢]، وقد تقدم، قال المبرد: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ جواب القسم، المعنى: والسماء ذات البروج إن بطش ربك، وما بينهما معترض مؤكد للقسم، وكذلك قال الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول»[١]: إن القسم واقع على ذكر صفته بالشدة: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ يعني الخلق - عن أكثر العلماء - يخلقهم ابتداء، ثم يعيدهم عند البعث، وروى عكرمة قال: عجب الكفار من إحياء الله جل ثناؤه الأموات، وقال ابن عباس: يبدئ لهم عذاب الحريق في الدنيا، ثم يعيده عليهم في الآخرة، وهذا اختيار الطبري[٢]، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ أي: الستور لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها، ﴿الْوَدُودُ﴾ أي: المحب لأوليائه، وروى الضحاك عن ابن عباس قال: كما يود أحدكم أخاه بالبشرى والمحبة[٣]، وعنه أيضا: «الْوَدُودُ» أي: المتودد إلى أوليائه بالمغفرة[٤]، وقال مجاهد: الواد لأوليائه[٥]، فعول بمعنى فاعل، وقال ابن زيد: الرحيم[٦]، وحكى المبرد عن إسماعيل بن إسحاق القاضي أن الودود هو الذي لا ولد له، وأنشد قول الشاعر:

وأركبُ في الرَّوعِ عُرْيانةً ذَلُولَ الجَناحِ لقاحًا ودُودَا

أي: لا ولد لها تحن إليه، ويكون معنى الآية: إنه يغفر لعباده وليس له ولد يغفر لهم من أجله، ليكون بالمغفرة متفضلا من غير جزاء، وقيل: الودود بمعنى المودود، كركوب وحلوب، أي: يوده عباده الصالحون ويحبونه.

قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ قرأ الكوفيون إلا عاصما: «المجيدِ» بالخفض[٧]، نعتا للعرش، وقيل: لـ ﴿رَبِّكَ﴾؛ أي: إن بطش ربك المجيد لشديد، ولم يمتنع الفصل، لأنه جار مجرى الصفة في التشديد، الباقون بالرفع نعتا لـ﴿ذُو﴾ وهو الله تعالى، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لأن المجد هو النهاية في الكرم والفصل، والله سبحانه المنعوت بذلك، وإن كان قد وصف عرشه بالكريم في آخر

---

(١) انظر: نوادر الأصول (١/ ٥٠٨).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٠/ ١٤٦) وهو ضعيف إلى ابن عباس، فهو من طريق العوفيين.
(٣، ٤) منقطع: بين الضحاك وابن عباس ـ رضي الله عنهما.
(٥، ٦) صحيح إليهما: الطبري (٣٠/ ١٤٧).
(٧) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص١٨٧).

«المؤمنون»[١]، تقول العرب: في كل شجر نار، واستجد المرخ والعفار[٢]؛ أي: تناهيا فيه، حتى يقتبس منهما، ومعنى ذو العرش: أي: ذو الملك والسلطان؛ كما يقال: فلان على سرير ملكه؛ وإن لم يكن على سرير، ويقال: ثل عرشه، أي: ذهب سلطانه، وقد مضى بيان هذا في «الأعراف»[٣] وخاصة في «كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ أي: لا يمتنع عليه شيء يريده . الزمخشري: ﴿فَعَّالٌ﴾ خبر ابتداء محذوف، وإنما قيل: ﴿فَعَّالٌ﴾ لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة، وقال الفراء: هو رفع على التكرير والاستئناف؛ لأنه نكرة محضة، وقال الطبري: رفع: ﴿فَعَّالٌ﴾ وهي نكرة محضة على وجه الاتباع لإعراب ﴿الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾، وعن أبي السفر[٤] قال: دخل ناس من أصحاب النبي ﷺ على أبي بكر رضي الله عنه يعودونه فقالوا: ألا نأتيك بطبيب ؟ قال: قد رآني! قالوا: فما قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد[٥] .

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ أي: قد أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم؛ يؤنسه بذلك ويسليه، ثم بينهم فقال: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ وهما في موضع جر على البدل من ﴿الْجُنُودِ﴾، المعنى: إنك قد عرفت ما فعل الله بهم حين كذبوا أنبياءه ورسله، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: من هؤلاء الذين لا يؤمنون بك، ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ لك؛ كدأب من قبلهم، وإنما خص فرعون وثمود؛ لأن ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وإن كانوا من المتقدمين، وأمر فرعون كان مشهورا عند أهل الكتاب وغيرهم، وكان من المتأخرين في الهلاك؛ فدل بهما على أمثالهما في الهلاك، والله أعلم.

﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ أي: يقدر على أن ينزل بهم ما أنزل بفرعون، والمحاط به كالمحصور، وقيل: أي: والله عالم بهم فهو يجازيهم، ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ أي: متناه في الشرف والكرم والبركة، وهو بيان ما بالناس الحاجة إليه من أحكام الدين والدنيا، لا كما زعم المشركون، وقيل: ﴿مَّجِيدٌ﴾: أي: غير مخلوق، ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ أي: مكتوب في لوح، وهو محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين إليه، وقيل: هو أم الكتاب؛ ومنه انتسخ القرآن والكتب، وروى الضحاك

---

(١) عند الآية (١١٦) .

(٢) المرخ والعفار: شجرتان فيهما نار ليست في غيرهما من الشجر، و يسوى من أغصانهما الزناد فيقتدح بها وزنادهما أسرع الزناد، والعرب تضرب بهما المثل في الشرف العالي. اللسان« مرخ، وعفر » .

(٣) عند الآية (٥٤) من سورة الأعراف .

(٤) واسمه: سعيد بن محمد كما في التهذيب (٢/ ٤٢٩) .

(٥) منقطع: أبو السفر لم يدرك أبا بكر ـ رضي الله عنه والقصة ذكرها ابن كثير (٨/ ٢٩١) في تفسيره ، وابن الجوزي (١/ ٢١٢) في صفة الصفوة ، وذكره أبو نعيم (١/ ٣٤) في الحلية ، وأحمد (٥٨٨) في الزهد بترقيمي. ورجاله ثقات على انقطاع فيه.

عن ابن عباس قال: اللوح من ياقوتة حمراء، أعلاه معقود بالعرش وأسفله في حجر ملك يقال له: ماطريون، كتابه نور، وقلمه نور، ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة؛ ليس منها نظرة إلا وهو يفعل ما يشاء؛ يرفع وضيعا، ويضع رفيعا، ويغني فقيرا، ويفقر غنيا؛ يحيي ويميت، ويفعل ما يشاء؛ لا إله إلا هو (١)، وقال أنس بن مالك ومجاهد، إن اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى في جبهة إسرافيل (٢)، وقال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش، وقيل: اللوح المحفوظ الذي فيه أصناف الخلق والخليقة، وبيان أمورهم، وهو أم الكتاب (٣)، وقال ابن عباس: أول شيء كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ إني أنا الله لا إله إلا أنا، محمد رسولي، من استسلم لقضائي، وصبر على بلائي، وشكر نعمائي، كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين، ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي، ولم يشكر نعمائي، فليتخذ إلها سواي (٤)، وكتب الحجاج إلى محمد ابن الحنفية رضي الله عنه يتوعده؛ فكتب إليه ابن الحنفية بلغني أن لله تعالى في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ؛ يعز ويذل، ويبتلي ويفرح، ويفعل ما يريد؛ فلعل نظرة منها تشغلك بنفسك، فتشتغل بها ولا تتفرغ (٥)، وقال بعض المفسرين: اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرؤونه.

وقرأ ابن السميقع وأبو حيوة « قرآنُ مجيدٍ » على الإضافة؛ أي: قرآن رب مجيد، وقرأ نافع «لوحٍ محفوظٌ » بالرفع نعتا (٦) للقرآن؛ أي: بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح، الباقون بالجر نعتا للوح، والقراء متفقون على فتح اللام من ﴿لَوْحٍ﴾ إلا ما روي عن يحيى بن يعمر؛ فإنه قرأ « لُوحٍ» بضم اللام، أي: إنه يلوح، وهو ذو نور وعلو وشرف، قال الزمخشري (٧): واللوح الهواء؛ يعني

(١) ضعيف جدًا إن لم يكن موضوعًا : الضحاك لم يلق ابن عباس ـ رضي الله عنهما ، وهذا كلام شبيه بالإسرائيليات لا يروى إلا عن الثعلبي وغيره .

(٢) وقاله قتادة ولا أعرف صحته متنًا إلا أنه غريب ، ولا أراه يصح كما في تفسير الطبري (٣٠/ ١٤٩) .
وانظر: البداية والنهاية (١/ ٢١) لابن كثير ـ رحمه الله .

(٣، ٤) الخبر من الإسرائيليات ، وروايته من رواية إسحاق بن بشر الكاهلي وهو كذاب ،ولا نملك مستندًا من الوحي يدل على صحة هذه المقاطيع أو الموقوفات .

(٥) ذكره ابن كثير (٩/ ٤١) في البداية والنهاية .

(٦) قراءة متواترة : كما تقريب النشر (١٨٧) .

(٧) انظر :الكشاف (٤/ ٢٠١) .

فائدة: فوائد أصحاب الأخدود كما ذكرها العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله :

١ ـ أن الغلام أقبل للتعليم (يعنى أكثر قابلية) ولأن التعليم للغلام الشاب هو الذي يبقى ولا ينسى ، ولهذا كان التعليم في الصغر خيرًا بكثير من التعليم في الكبر وفي كلٍ خير ، لكن التعليم في الصغر فيه فوائد :

الأولى: الشاب في الغالب أسرع حفظًا لأنه فارغ البال ليست عنده مشاكل .

وثانيها: أنّ ما يحفظه الشاب يبقى وما يحفظه الكبير ينسى وقالوا : التعليم في الصغر كالنقش على الحجر .

وثالثها: أن الشاب إذا ثُقف العلم من أول أمره صار العلم كالسجية له ، والطبيعة له ، وصار كأنه غريزة قد شب عليها فيشيب عليه .

٢ ـ المعاريض: فالراهب أمر الغلام بالكذب لأن فيه مصلحة تربو على مفسدة الكذب، مع أنه يمكن أن يتأول.

٣ ـ الراهب على ما عنده من الجهل لكن يعبد الله على بصيرة فهو مهتد . =

اللوح فـوق السـماء السـابعـة الذي فـيه اللوح، وفي« الـصحـاح»: لاح الشيء يلوح لوحـا، أي: لمح،ولاحه السـفر: غيره، ولاح لوحـا ولواحا: عطش، والتاح مـثله، واللوح: الكتف، وكل عظم عريض، واللوح: الذي يكتب فيه، واللوح بالضم: الهواء بين السماء والأرض، والحمد لله.

تم بعون الله تعالى الجزء التاسعَ عَشرَ
من تفسير القرطبيّ يتلوه إن شـاء الله تعالـى
الجـزء العشـرون ،وأولـه : سـورة «الطـارق »

= ٤ ـ تشريع الاستخارة إذا شك الإنسان في أمر ، أو تردد أو هم به وأشكـل عليه ـ كما دعا الغلام ربه بأن يفصل به في أمر الراهب والساحر ـ وأعاضنا الله بالاستخارة ـ أو المشورة لأهل الصلاح .

٥ ـ إثبات الكرامة للولي من خلال كرامات الغلام .

٦ ـ أن الكرامة يردها صاحبها لله تعالى لا لنفسه .

٧ ـ إن كانت المسـألة تتعلق بالحيـاة أو الموت فللإنسان الخيـار إن شاء قال كلمة الكفـر دفعًا للإكـراه مع طمأنينة القلب ـ كما فعل عمّار ـ رضي الله عنه ،وإن شاء أصرَّ وأبى وإن قتل، هذا إذا كان الأمر عائدًا إلى نفسه .

٨ ـ أما إذا كان عـائدًا للدين فلا يعني أن العبد إذا كـفر ظاهـرًا أمام الناس كفر الناس بكـفره فلا يجـوز له أن ينطق بكلمة الكفر ؛ بل يصبـر حتى لو قتل ، كما فعل الإمام أحمـد بن حنبل في محنة خلق القرآن ـ فلو قال بخلق القرآن لقالت الأمة به.

٩ ـ العاقبة للصابرين .

١٠ ـ دعاء المضطر مستجاب .

مختصرًا من شرح رياض الصالحين (١/ ١١٦ـ ١٢٠) لابن عثيمين ـ رحمه الله .

obeikandl.com